المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي

الزلازل والطوفان آية من آيات الله المتلوة والمشاهدة

تقديم

د.محمد بن عبدالعزيز العواجي

الأستاذ المساعد بقسم التفسير كلية القرآن الكريم

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وكشف الله به الغمة ، تركنا على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك فصلوات ربي وسلامه عليه . و بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وإن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

ثم أما بعد:

فقد طاف ببعض الأرض طائف الفيضانات والزلزال ، فأحال الأمن خوفاً والحياة موتاً، والعامر خراباً، وجعل المدينة الناضرة يباباً، وفي مثل طرفة عين وانتباهتها غير الله من حال إلى حال، فإذا ألوف القتلى، وألوف من الجرحى، وألوف من المشردين، فاستبد الألم بالجميع حتى خيل إليهم كأن القيامة قامت، فهذه أمٌ فقدت ابنها، وذاك ابن ينادي أمه، مشاهد دامية، يعجز البيان عن وصفها ..

إن الماء هو أصل كل حياة ، وأصل كل المخلوقات الحيّة على ظهر هذه الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾[سورة الأنبياء ٣٠]، فلا حياة على ظهر هذه الأرض بدون الماء . والناس عندما يعلمون بقدوم المطر يفرحون ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ ﴾ [سورة الأحقاف ٢٤]. فهم فرحوا عندما اقتربت السحب . ولكن هل هذا المطر وهذا الماء سيكون خير أم سيكون فيه عذاب ودمار ؟! ولذلك قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة الأحقاف ٢٤-٢٥].

ومن المعلوم عند علماء الطبيعة أن سبعين في المائة من مساحة الأرض مسطحات مائية على جميع أشكالها من بحار ومحيطات ، وأنهار ، وبحيرات[1].

ومن المعلوم عند علماء الطب والأحياء أن جسم الإنسان يحتوي على سبعين في المائة ماء بكل أشكاله أيضاً[2].

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ١٦٠٥/٢، "سنريهم آياتنا" صـ٣٧ ، الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم صـ١٥٣ .

(٢) سنريهم آياتنا صـ٣٧ ، مع القرآن في الكون صـ١٥٣ .

ومن سنة الله في هذا الكون أن جعل الماء عاملاً من عوامل الحياة والبقاء ، وكذلك فإنه عامل من عوامل الفناء والهلاك ، فعدم وجود الماء وقلته يسبب الفناء والهلاك ، وكثرة الماء وزيادته عن حاجة الناس قد يكون سبب الهلاك والفناء أيضا .

والماء جند من جنود الله يسلطه على أعدائه وأعداء المؤمنين ، وهو جند من جنود الله ينصر الله به عباده المؤمنين على أعدائهم ، ونزيد أمراً ثالثاً وهو أن الماء رسالة تهديد ووعيد من الله للناس جميعا بأنهم إذا عصوه و لم يتبعوا أمره سيحل بهم غضبه وسيرسل عليهم جنده إما بفقدان ذلك الماء فيقضي على الحرث والنسل ، وإما بفيضانه الذي يؤدي في أغلب الأحوال إلى ذهاب كل أخضر ويابس وكل حياة على ظهر المنطقة التي حصل فيها الفيضان .

والهواء أيضاً هو عامل من عوامل الحياة ، وقد يكون عاملاً من عوامل الفناء ، بأن يسلطه الله على من يشاء على هيئة ريح وإعصار تقضي على الأخضر واليابس كما قال تعالى ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [سورة الأحقاف ٢٤-٢٥].

فمع كثرة الفيضانات والزلازل والأعاصير والكوارث الطبيعية في هذه الأيام ، كانت هذه الدراسة في هذا الموضوع الذي أصبح كالظاهرة في هذا الوقت ، حيث تكلم فيه من تكلم وخاض فيه من خاض ، وظهرت التساؤلات من الناس:

- ما أسباب هذه الكوارث والفيضانات ؟ ولماذا كثرت في هذا الوقت ؟
- هل هي بسبب غضب الله ؟ أم أن كثرتها بسبب عوامل طبيعية ؟
- وإذا كانت الزلازل بسبب غضب الله تعالى من العصاة والمكذبين والمبتعدين عن أوامره ؟ فلماذا يقع هذا الغضب على المؤمنين أيضا ، والذين قد لا يملكون في هذه الدنيا إلاّ قليلاً ؟
- ما علاقة الزلازل والفيضانات والكوارث بالذنوب ؟
- ما الواجب علينا أن نفعله عند حدوث تلك الكوارث ؟
- ما هي العِبر من الكوارث التي تقع حولنا ؟

فهذا البحث محاولة لإيجاد إجابات عن تلك التساؤلات ؟ التي حار فيها الكثيرون ، واجتهد في تحليلها علماء ومفكرون فمنهم المصيبون ومنهم المخطئون ، وتعثر فيها أهل الطبيعة والملحدون الماديون .

وذلك وفق خطة مختصرة في مقدمة وخمسة فصول وخاتمة :

المقدمة : وتضمنت أهمية الموضوع ومحاوره.

التمهيد : تضمن أن الكوارث والطوفان آية من آيات الله المتلوة والمشاهدة .

الفصل الأول : أسباب الكوارث .

الفصل الثاني : علاقة الأسباب الطبيعية بعقاب الله.

الفصل الثالث : شبهات وجوابها .

الفصل الرابع : الواجب على المسلمين عند حدوث الكوارث .

الفصل الخامس : العِبَرُ من الكوارث التي تحصل حولنا .

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث .

منهجية كتابة البحث :

لقد سلكت في تسطير وصياغة هذه الورقات المنهج العلمي التالي :

- منهجية التفسير الموضوعي بنوعه المشهور "تتبع المعنى المذكور في الآيات ودراستها وتفسيرها مع مراعاة شروط المفسر أثناء عرض الموضوع"
- سلكت أسلوب المقالة في صياغة البحث "لأنه ذا طابع وعظي تذكيري ".
- التزمت ما ذكره العلماء المشتهرون في الفن في معنى الآيات على الوجه الأرجح ، معرضاً عن ذكر الخلاف في ذلك بناء على منهجية هذا النوع من التفسير .
- ما صغته في معاني الآيات والاستشهاد بها فهو ممّا فهمته من جرد كتب التفسير عامّة ، وعلى الأخص الكتب التالية :
  ١. تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير رحمه الله ط.دار طيبة ، تحقيق سامي سلامه .
  ٢. الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي رحمه الله ط.دار الكتاب العربي لبنان .
  ٣. تيسير الكريم الرحمن للإمام ابن سعدي رحمه الله ط.مؤسسة الرسالة عناية د.عبدالرحمن اللويحق ١٤٢٠هـ .
- لم ألتزم العزو للكتب المذكورة في كل موضع ، لأن كل آية ذكرتها أو استشهدت بها فعلى المعنى الذي ذكروه ، بإجمال مني وصياغة تقتضيها منهجية المقالة العلمية الموضوعية .
- حاولت أن تكون خطوات وخطة البحث موافقة لما اتفق عليه أهل فن "التفسير الموضوعي للقرآن الكريم" ، وفقاً لما قيده د.زاهر عواض الألمعي في (دراسات في التفسير الموضوعي) ود.مصطفى مسلم في (مباحث في التفسير الموضوعي) ، واستلهاماً ممّا سلكه الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي في كتابيه (تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن) و (فتح الرحيم الملك العلام). وإني لأرجو أن أكون وفقت لذلك .

والله أسأل الإعانة والتوفيق والسداد فلا حول ولا قوة إلاّ به وهو حسبي ونعم الوكيل.

الباحث/د.محمد بن عبدالعزيز العواجي

تم تبييضه في ١٤٢٧/٣/٣هـ طيبة الطيبة

تمهيد :

- إن من آيات الله ما يخوف الله به عباده لعلهم يرجعون ، وأن يصيبهم ببعض ذنوبهم لعلهم يتقون ، وأن يصيبهم بنقص من الأموال والثمرات لعلهم يتذكرون ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة محمد ١٠]، وقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الروم ٤١] .

وإن الله سبحانه وتعالى حكيم عليم فيما يقضيه ويقدره ، كما أنه حكيم عليم فيما شرعه وأمر به ، وهو سبحانه يخلق ما يشاء من الآيات ، ويقدرها تخويفا لعباده وتذكيرا لهم بما يجب عليهم من حقه وتحذيرا لهم من الشرك به ومخالفة أمره وارتكاب نهيه كما قال الله سبحانه : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ **[سورة الإسراء ٥٩]، وقال عز وجل :** ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة فصلت ٥٣].وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة الأنعام ٦٥].

ولا شك أن ما يحصل من الطوفان والسيول والفيضانات والزلازل والبراكين والأعاصير والصواعق المحرقة ، وغيرها من الكوارث في هذه الأيام في جهات كثيرة من العالم هو من جملة الآيات التي يخوف الله بها عباده .

إن الطوفان والفيضانات والزلازل من أوضح الدلالات على عظمة الجبار تعالى، وضعف جبابرة الأرض مهما أوتوا من قوة وعلم ظاهر.كيف لا تدل على عظمة الجبار وهي في بضع ثوانٍ تهلك مئات الألوف من الناس ، وتقضي على كل أخضر ويابس . ولنا في الزلزال الذي ضرب المحيط[٣] أكبر عبرة وعظة.

---

(٣) المقصود به ذلك الحدث تحت المحيط الهندي، بقوة بلغت ٩.٨ درجة بمقياس ريختر، والذي هزّ العالم في صبيحة يوم الأحد ١٤٢٥/١١/١٥هـ الموافق للسادس والعشرين من ديسمبر لعام ٢٠٠٤م . والذي أشتهر باسم (تسونامي) .

لقد ذكر الله لنا أمثلة من عقابه للخارجين عن الصراط المستقيم ففي القرآن الكريم قصة قوم أصابتهم الصاعقة وقصة قوم أصابهم الفيضان و قصة قوم أصابهم الزلزال، قال تعالى عن الأمم الماضية : ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة العنكبوت ٤٠].

وكل هذه الأمثلة الإلهية أراد الله أن يعطينا بها درسا نتعظ فيه ونبتعد فيه عما يكره سبحانه وتعالى من الشرك والفسوق والعصيان.

– وإن الله تعالى أيضا يعطينا نموذجا مصغرا عن ما يحدث يوم القيامة من أهوال ، ف إذا كانت زلزلة ثوان عملت هذا كله ، فكيف بزلزلة يوم يجعل الولدان شيباً ؟ إنها زلزلة هائلة تخفض وترفع وترج الأرض رجاً وتبس الجبال بساً فتجعلها هباء منبثاً. إنها زلزلة ضخمة تتحول الجبال معها إلى عهن منفوش. وتصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً. إنها زلزلة مرعبة تُحمل فيها الأرض والجبال فتُدكان دكة واحدة. إنها زلزلة مذهلة تنفض الأرض بسببها كل ما فيها نفضاً وتخرج أثقالها . وإذا نجونا من زلازل الدنيا فليس أحد منا بناج من زلزلة يوم القيامة فماذا أعددنا لها؟ قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الحج ١-٢].

الفصل الأول

أسباب الكوارث

لما هُزِم المسلمون في غزوة أحد، وقُتل منهم سبعون شهيداً، تعجَّب المسلمون كيف أصابهم ذلك وهم أهل الحق والإيمان، وعدوهم الكافر المشرك الذي يحارب الله ورسولهﷺ، الذي لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر؟ تعجبوا كيف انتصر الكافرون الذين يبغضهم الله تعالى ويتوعدهم بأنواع العذاب والنكال في الدنيا والآخرة؟ كيف ينتصر هؤلاء على أهل الإسلام؟ كيف يهزمون جيشاً فيه رسول الله ﷺ والمبشرون بالجنة وباقي المهاجرين والأنصار وهم السابقون الأولون الذين مدحهم الله ﷻ أعظم المدح؟ جاءهم الجواب من عند الله تعالى: ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ ﴾[سورة آل عمران ١٦٥-١٦٧]

إن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يدلان على أن هذه ا لكوارث وغيرها من التغيرات الكونية إنما تصيب العباد بسبب ذنوبهم وكونها تقع لأسباب معروفة لا يخرجها عن كونها مقدرة من الله سبحانه على العباد لذنوبهم فالله خالق السبب والمسببات، قال الله تعالى :﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَـٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الإسراء ١٦].

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ) فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: (إِذَا ظَهَرَتْ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ)(٤). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يكون في آخر الزمان خسف ومسخ وقذف، قالت قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا ظهر الخبث)(٥).

وعن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، و لم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا

(٤) سنن الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في علامات حلول المسخ والخسف (٢٢١٢).سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب الخسوف (٤٠٦٠). سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٢٩٣ ح١٧٨٧).

(٥)سنن الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في الخسف (٢١٨٥). سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٨٧).

بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) [٦].

وأيضا مما يؤكد هذا المعنى النظر في خواتيم الآيات التي ختم الله بها كل قصة من قصص الأمم الهالكة ، ففي خواتيمها التهديد والوعيد ، والتخويف لكل من عَمِل عَمَل أولئك الأقوام .

فقد قال تعالى في نهاية هلاك قوم نوح : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾ [سورة هود ٤٤].

وقال تعالى:﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴾[سورة نوح ٢٥]

وقال تعالى:﴿ وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ لِلنَّاسِ ءَايَةٗۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٣٧ ﴾ [سورة الفرقان ٣٧]

وقال تعالى في هلاك قوم فرعون : ﴿ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧ ﴾[سورة الشعراء (٦٦- ٦٨]. وقال تعالى : ﴿ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦ ﴾ [سورة الأعراف ١٣٦].

وقال تعالى عن فرعون:﴿ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٨٣ ﴾ [سورة يونس ٨٣].

وقال تعالى لفرعون عند إهلاكه: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢ ﴾[سورة يونس ٩٢]

وقال تعالى في هلاك قوم سبأ: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧ ﴾[سورة سبأ ١٧].

وقال عن أصحاب الجنة عندما منعوا الزكاة وقالوا: ﴿ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ٢٤ ﴾ [سورة القلم ٢٤] قال عنهم: ﴿ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ ﴾ ثم عقب بقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾ [سورة القلم ٢٤-٣٣] قال ابن كثير "أي هذا عذاب

---

(٦) سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب العقوبات (٤٠١٩). وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٦)، وصحيح سنن أبي داود(٣٢٤٦).

من خالف أمر الله ، وبخل بما آتاه الله وأنعم عليه ومنع حق المساكين والفقراء ، وذوي الحاجات وبدل نعمة الله كفراً ، ولن يقف العذاب عند عذاب الدنيا فقط بل هناك عذاب في الآخرة أشد وأشق "[٧].

وقال تعالى عن الأمم الماضية : ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة النحل ٢٦].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة هود ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء ٦٨-٦٩].

فعلى هذا فإن كل ما يحدث في الوجود من الفيضانات والطوفان والزلازل وغيرها مما يضر العباد ويسبب لهم أنواعا من الأذى ، كله بأسباب الشرك والظلم والتكذيب والمعاصي ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الشورى٣٠]. وقال تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾ [سورة النساء ٧٩].

إن بلاداً من بلاد الله الواسعة، كانت قائمة شاخصة، فظلم سكانها أنفسهم، فحل بهم أمر الله وسنته ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة القصص ٥٨].

لقد عمّ قوم نوح الغرقُ، وأَهْلكت عاداً الريحُ العقيمُ، وأخذت ثمود الصيحةُ، وقُلبت على اللوطية ديارهم، فجعل الله عاليها سافلها، وأمطر عليها حجارة من سجيل، يقول الله تعالى :﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة العنكبوت ٤٠]

تلكم الذنوب، وتلكم عواقبها وما هي من الظالمين ببعيد. ما ظهرت المعاصي في ديار إلا أهلكتها، ولا فشت في أمة إلا أذلتها، ولا تخلخلت في دولة إلا أسقطتها. إنه ليس بين أحد وبين الله نسب.

---

(٧) تفسير ابن كثير (٨/١٩٥-١٩٧) باختصار.

– ولا يعني هذا أن أقواماً أو مجتمعات لم يصبها شيء أنها على الاستقامة كلا، ولكن الله يمهل حتى يعتبر الناس ولا يهمل قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾ [سورة الأنفال ٢٥]، وقال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤ ﴾ [سورة الحج ٤٤].

وقال تعالى:﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ٤٨ ﴾ [سورة الحج ٤٨].

– والكوارث تختلف فقد تكون فيضانا أو زلزالاً أو حروباً أو رياحاً عاتية ، وقد تكون تدهوراً في الاقتصاد وسوء للأوضاع المالية، أو تدهوراً في الأمن وقد تكون غير ذلك.

– إن الزلزال الذي وقع مؤخرا في جنوب آسيا مثلاً كان متوافقا مع اجتماع أعداد كبيرة من السياح من النصارى وغيرهم ، الذين أتوا لهذه المناطق الدافئة، هروبا من البلاد الباردة، للاحتفال بأعياد رأس السنة والميلاد — كما زعموا – فنزلوا في منتجعات على الشواطئ، اشتهرت بجمالها الأخاذ، أتوا حاملين معهم ما يسميه بعض الناس "ثقافات وعادات اجتماعية": يشربون الخمر، ويتعرى الرجال والنساء جميعا، ويمارسون الفواحش، ويرتكبون أعمالا قبيحة وشنيعة، مع تواطؤ الناس عامة بتيسير كل هذه الأمور لهم، وإعانتهم عليها، حبا في المال..!!.

ولما كثرت الفاحشة وعمت: نزل عليهم غضب الجبار. فجاءهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، جاءهم من المكان الذي تمتعوا به، واستنشقوا نسماته، وأكلوا من نعمه، ونعموا أبدانهم بمائه، فما أمهلهم، ولا استمهلهم، جاءهم بغتة، فلم يتركهم إلا قتيلا، أو فقيدا، أو شريدا، ممزقين، حيارى، نادمين، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [سورة هود ١٠٢].

لقد خرب الزلزال منتجعات وأقاليم، كانت تسمى جنة السياح في شرق الأرض وغربها، فتركها وغيرها دمارا بعد عمار، وأطلالا وذكريات أليمة، زرع الحزن وقتل الفرحة: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئۡرٖ مُّعَطَّلَةٖ وَقَصۡرٖ مَّشِيدٍ ٤٥ ﴾ [سورة الحج ٤٥]

ترك الناس يجمعون جثث الأحباب، والخلان، وذوي القربى، عاجزين عن دفنها لكثرتها..جاء الزلزال وما أراد إلا الشواطئ، بما فيها من كبائر، فأصابها وأصاب غيرها [٨] ، ومثله في قوته الهائلة، لو أصاب عمق

(٨) وهذا بشؤم تلك المعاصي فإن العذاب إذا نزل بقوم عمَّ الطالح فيهم والصالح كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم) البخاري كتاب البيوع باب ما ذكر في الأسواق (٢١١٨) واللفظ له. ومسلم كتاب الفتن باب الخسف بالبيت الذي يؤم البيت (٢٨٨٤)

اليابسة، لقتل ملايين من الخلق، لكن الله أراد إمهال عباده ليتذكروا ويتعظوا، فبدأ من قعر المحيط، ثم مد غضبه إلى أطرافه ، فصار حالهم كما وصف الله عن عذاب قوم نوح عليه الصلاة والسلام فقال تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة القمر ١١-١٥] نعم ، لقد جعلها الله آية ، فهل نتعظ ونعي الدرس!! .

ومع ذلك كله فقد يسْلم أقوام من تلك الكوارث والعقوبات الإلهية، وذلك لا يخرج عن سببين في جملته:

الأول : أن يكون ذلك بسبب إيمانهم ودفع الله عنهم ، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف ٩٦].

الثاني : أن يجعل الله ذلك استدراجاً لهم ، كما وصف الله حال قريش في ذلك فقال : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الأعراف ٧٩-٩٩] وقال : ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة القصص ٥٧].

وقال محذراً لهم من مآل الظالمين: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [سورة الصافات ١٣٦-١٣٨]. وقال: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة يونس ٢٤].

وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُذكرهم ويعظهم بذلك: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة قريش].

الفصل الثاني

علاقة الأسباب الطبيعية بعقاب الله

وعلى هذا فقد اتضح السبب للمؤمن، فما وقعت مصيبة إلا بذنب، ولا رفعت إلا بتوبة، لكن أنّى للقاسية قلوبهم أن يفهموا هذا..؟!!، وقد حكى الله تعالى عن أمثالهم ، فقال تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [سورة المؤمنون ٧٦]. فكم أولئك الذين يرددون: أن لا علاقة بين الكوارث من فيضانات وزلازل ونحوها وبين الذنوب. وأن لا علاقة بين الزلازل وغضب الله تعالى؛ وأنها ظواهر طبيعة محضة، تحدث لأسباب فلكية، وجيولوجية ويقولون : (غضب الطبيعة ، وفعل الطبيعة ، وقسوة الطبيعة ، وغدر الطبيعة ، والطبيعة المدمرة) ؟!!!

- ولكن نقول لهم من الذي خلق الطبيعة ؟، وهل الطبيعة هي التي أوجدت نفسها؟

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة آل عمران ١٠٩] وقال تعالى : ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [سورة الزمر ٦٣].

فإن شيئاً من التفسير المادي الذي يعتمد على الدراسة والبحث ، قد يكون صائباً في بيان سبب الزلزال ، لكن السؤال الذي يجب على وسائل الإعلام وعلى غيرها أن تطرحه هو : بأمر من يحدث الزلزال ؟ ومتى يحدث ؟ وكيف يحدث ...؟! ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [سورة أل عمران ١٥٤]. وهل أغنت المراصد ومراكز الأبحاث شيئاً لما جاء أمر الله ؟؟! كلا والله ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الرعد ١١]

- وأمر آخر : إن العلم الحديث قد يكشف شيئاً من أسباب الزلازل السابقة ، لكنه يبقى عاجزاً عن معرفة بعض الأسباب لزلازل جديدة ويبقى العالم بكل ما أوتي من قوة عاجزاً عن تلافيها ودفع أضرارها ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الرعد ٤١].

- وأمر ثالث : هل كل سبب طبيعي واجب الوقوع ؟ فمن الذي يجعل بعضها يقع وغيره

يصرف عن الخلق ؟ إنه الله عز وجل ، مالك الملك الجبار المنتقم وهو الحليم الغفور ، قال تعالى :﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة النحل ٦١].

إن الفهم والتحليل الذي يقول (بفعل الطبيعة) خطأ مصادم لنصوص صريحة في القرآن والسنة، ويخالف الواقع ، فقد تبين أن الكوارث إنما تصيب الإنسان والأمم لغضب الله تعالى عليها، لركوبها المعاصي ، والله تعالى هو الذي يخلق الأسباب الطبيعية التي تنتج عنها تلك الفيضانات والكوارث .

الفصل الثالث

شبهات وجوابها

وهؤلاء المغيرون للحقائق يتخذون للتوصل إلى مسلك قلبها ولبسها بالباطل شبهات لا تقوم عليها أدلة[٩] ، فمن تلك الشبهات ما يلي :

الشبهة الأولى:

قالوا : " إن الزلازل تصيب دولا وأمما متقدمة غنية، فإذا كانت هذه الكوارث دليل غضب الله، فلم يعطيها من النعم وهو عليها غاضب ؟".

فهذه الشبهة مبنية على استحالة اجتماع النعمة والنقمة في محل واحد: شخص أو أمة .

والجواب :

أن العقل لا يمنع من اجتماع النعمة والنقمة في محل واحد، ونحن نرى هذا ونفعله، فإن من أصاب أحسنّا إليه ، ومن أخطأ عاقبناه، وقد يخطئ وهو في عمل حسن ، فنعاقبه على خطئه، ونثيبه على إحسانه في الوقت نفسه، وهكذا القاعدة في تعامل الأمم فيما بينها، يعرف لها إحسانها وإساءتها، فتعامل بقدر كل شيء.

أما في الشرع: فإن النصوص أشارت إلى القواعد التي يتعامل بموجبها مع خطايا البشر، وهي:

أن يعامل الناس بالعدل : وذلك بأن يثاب الإنسان والأمم على إحسانها بالنعم، وتعاقب على إساءتها بالعقوبات، فيجتمع فيها كلا الأمرين، وهذه معاملة العدل تعم المسلمين والكافرين.

---

(٩) ترددت هذه الشبه وغيرها مما يدور في مغزاها أيام الحدث على ألسنة عدد من المذيعين ونشرت في بعض الصحف والمجلات "و من هذه المقالات ما نشرته صحيفة "الرياض" في عددها (١٣٣٤٩) بتاريخ: ١٤٢٥/١١/٢٩هـ بقلم رئيس تحريرها، بعنوان "الجواب غير الكافي"!! وتساءل ما هو ذنب شعوب فقيرة للغاية في شرق آسيا لكي يحل بها هذا الدمار الشامل؟ ثم قال: إن الله أكثر رأفة ورحمة بعباده من أن يضعهم تحت هذه القسوة. ثم ذكر في نهاية مقاله أن هذا أمر لا يقبله العقل!! وتساءل بلغة تحريضية كنت أربأ به عنها: كيف هي أفكار هذا المتحدث مع تلامذته إذا كان هذا هو ما يقوله في هذه الواقعة؟ كما ذكر في ثنايا مقاله أن جريدة "الحياة" في عددها (١٥٢٥٧) ذكرت أن شبكة "إن بي سي" الأمريكية أوردت هذه الفتوى، وبثت مشاهد من هذا اللقاء، الذي أثار –بزعمه– استياءً كبيراً في الأوساط الأمريكية"أ.هـ من مقال الجواب الكافي للدكتور عبد العزيز الفوزان بالرياض .
وجمعها وأجاب عنها أيضاً د.لطف الله ملا خوجة في مقال له في موقع صيد الفوائد نشر بتاريخ ١٤٢٦/٤/٢٥هـ وكذلك د. طارق الطواري في موقعه وفي صيد الفوائد .

وأيضا : **أن يعامل الناس بالإمهال**: وذلك بأن يجعل الله تعالى للعصاة- خصوصا الكافرين- النعم في هذه الدنيا، ويقلّبهم فيها، لكن ذلك لا يمنع من عقوبتهم في بعض الأحيان بكوارث – عظة وعبرة- وآية ذلك قوم فرعون، كانوا في النعيم العظيم، قال تعالى :﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة الزخرف ٥١]. وقال تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الدخان ٢٥-٢٨].

لكن ذلك النعيم لم يكن خالصا، بل خالطه العذاب والعقوبة، قال تعالى :﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة الزخرف ٤٨]. . ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف ١٣٢].

وعن عمر بن الخطاب رضي الهع عنه قال : قلت يا رسول الله ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله ، فاستوى جالسا ثم قال :(أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا)[١٠] ، فربنا لم يظلمهم وإنما عجل لهم جزاء حسناتهم في دنياهم حتى يلقوه وليس عندهم ما يستحقون عليه للفضل والإحسان ، أما المؤمن فقد ابتلاه الله في الدنيا ليكون أهلاً لفضل والإحسان في الآخرة ، فسبحان ربي ما أعدله حتى مع الكافر المعاند الظالم .

الشبة الثانية:

قالوا : " إن الزلزال ظاهرة كونية طبيعية محضة ثابتة، لا علاقة لها بأحوال الناس."

فهذه الشبهة مبنية على رفض العلاقة بين الظواهر الكونية، وأحوال الناس.

والجواب :

أولا : الزلزال ظاهرة طبيعية، هذا صحيح، لكن ادعاء ثبوتها، وعدم تغيرها البتة فيه نظر، فإن خرق الظواهر الطبيعية أمر وارد، ثابت بالوقائع والأدلة، وهاكم الأدلة:

(١٠) صحيح مسلم كتاب الطلاق باب في الإيلاء واعتزال النساء (١٤٧٩).

١- النار من سنتها الإحراق، لا تكاد تتخلف، ومع ذلك تخلفت في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ ﴾ [سورة الأنبياء ٦٩]. هنا لماذا تخلفت هذه السنة، سنة الإحراق، فصارت برداً وسلاماً على إبراهيم؟ .أليس السبب هو طاعته وإيمانه وقربه من الله تعالى؟

٢- من السنن الكونية امتناع المشي على الماء بالأقدام، هذا في الأصل، لكنها انخرقت للعلاء بن الحضرمي ومن معه رضي الله عنهم جميعاً في قتال أهل البحرين حينما ارتدوا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد أخرج ابن أبي شيبة وغيره : أن العلاء الحضرمي قال لأصحابه : اذهبوا بنا إلى دارين لنغزوا من بها من الأعداء فأجابوا ذلك سريعاً ، فسار بهم حتى أتوا ساحل البحر ليركبوا في السفن ، فرأى أن الشقة بعيدة لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداء الله فاقتحم البحر بفرسه وهو يدعو الله تعالى ، وأمر الجيش أن يفعلوا ذلك فمشى الجيش كله على الماء كأنهم يمشون على الأرض نصر الله جنده، مع مخالفة هذه الحادثة للسنة الكونية [١١]، وأعظم منها انشقاق القمر ووقوف الماء كالجدار أو الجبل العظيم لموسى عليه الصلاة والسلام ومن آمن معه .

٣ - كنا نشهد المطر في مواسم معينة، لا تكاد تتخلف، ومنذ عشر سنوات وزيادة، جفت الآبار، ومات الزرع، وقل الثمر، والسبب: تخلف هطول المطر في تلك المواسم.. فهذه السّنة التي تعاهدها الناس وألفوها، حتى ظنوها ثابتة لا تتغير.. قد تغيرت، والسبب: ذنوب العباد.. فإن الناس في القديم لم تكن منهم المعاصي التي هي اليوم، وقد ورد في الصحيح بيان أن المطر قد يمتنع بسبب ذنوب العباد، قال صلى الله عليه وسلم: (و لم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أُخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم. و لم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا)[١٢] .

فبهذا علم إبطال القول "إن السنة الكونية لا تتغير بحال" بل الصحيح: أنها مطردة ، ولا يستحيل عليها التغير وهي ظاهرة ثابتة في أصلها، لكن من الذي يخلق الأسباب ومسبباتها؟ أليس هو الله تعالى؟ بلى، هو الله تعالى. هو يقدر لهذه الكوارث أن تقع مناسبة لما تقترفه يد الإنسان من سوء.

---

(١١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠١/٦رقم٢٩٨٠٤)، وأحمد في الزهد (١٦٩/١) ، والطبراني في الكبير (٩٣/١٨رقم١٦٦)، وأبو نعيم في الحلية (٧/١-٨) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٦/٦) وقال :رواه الطبراني ورجاله ثقات إلى أبي إسحاق . وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٢٣٣/٦) ،وأشار إليه ابن حجر في الإصابة (٤٩٧/٢-٤٩٨) ، وانظر منهاج السنة (١٥٥/٨)،واقتضاء الصراط المستقيم (٣٦٣/١)، والنبوات(٥/١)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (مجموع الفتاوى ٢٧٩/١١).

(١٢) سنن ابن ماجه كتاب الفتن، باب العقوبات (٤٠١٩). صحيح ابن ماجه (٣٧٠/١).

ومن الذي يجعل السبب مؤثراً فيقع وتحصل نتيجته ، أو غير مؤثر فلا يكون له أثر أو نتيجة وهما سبب واحد.

يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف ٩٦].

ثانيا : لا يسلم لهم بأن الكوارث الطبيعية محضة، لا علاقة لها بما يفعل الناس من حسنات وسيئات.

كلا بل هي للعبرة والعظة، ولأمور يعلمها الله تعالى ، فما خلق الله تعالى شيئا، ولا قدره إلا لحكمة ، وحصر الحكمة والعلة في الظواهر الطبيعية ، من تغير في سير الأرض ، ومواقع الجزر والقارات تحكم بغير دليل.

بل الدليل دل على أن الحكمة من حصول هذه الكوارث مرتبطة بالإنسان، الذي خلقه الله تعالى في هذه الأرض، وسخر له ما فيها :﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ [سورة تبارك ١٥]. ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الجاثية ١٣].

فما يحدث في الأرض إنما للإنسان منه أكبر النصيب، فعزله عن أحداث الأرض: عظة وانتفاعا. عزل له عن علاقته بالأرض ذاتها وتعطيل لعقله وفكره ومساواة له بالجمادات ، وهذا نقص من حق الإنسان الذي سخرت له هذه المخلوقات .

الشبهة الثالثة:

قالوا "إذا كانت الزلازل عقوبات، فلم يصاب بها المسلمون والكافرون على حد سواء؟".

وهذه الشبهة مبنية على استحالة وقوع العقوبة ذاتها على المسلمين والكافرين.

الجواب : من وجهين :

أولا: أن العقوبات جزاء المعاصي، والمعصية حاصلة من المسلم، ومن باب أولى الكافر، وهذه حقيقة، فليس المسلم بسالم من الخطايا، فإذا ثبت وقوع المعصية من المسلم، وتبين أن العقوبات سببها المعاصي، لم يمتنع أن يقع على المسلمين من العقوبات، مثل ما يقع على الكافرين، فهذا الجهاد ذروة سنام الإسلام يقع

فيه على المسلمين من الألم ما يقع على الكافرين، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١٠٤ ﴾[سورة النساء ١٠٤].

﴿ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠ ﴾ [سورة آل عمران ١٤٠].

ثانيا : هناك فرق بين ما يصيب المؤمن وما يصيب الكافر من عقوبات: فالمؤمن إذا أصيب بعقوبة عامة كزلازل أو فيضانات ونحوها ، أو خاصة كمرض ونحوه، فذلك: إما أن يكون ابتلاء لرفعة درجته في الدارين، وإما أن يكون تكفيرا لخطاياه لينجو من النار ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أمتي هذه ؟ أمة مرحومة ، عذابها في الدنيا الزلازل والفتن والقتل) [(١٣)] ، وهم يبعثون يوم القيامة على نياتهم فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يغزو جيش الكعبة ف إذا كانوا بالبيداء أو ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم) قلت : يا رسول الله : كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال :(يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم)[(١٤)] ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يكون في آخر الأمة خسف ومسخ وقذف) قالت : قلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم إذا ظهر الخبث)[(١٥)]. ولعلّ هذا من الأسباب في الأمر بالهجرة من ديار الكفر والفجور إلى دار الإسلام ، والله المستعان.

أما الكافر فإذا أصيب بعقوبة فليس ابتلاء ولا تكفيرا ، لأنه ليس من أهل الجنة فيبتلى لترتفع درجته ، ولا هو ناج من النار لتكون في حقه تكفيرا ، بل ما يصيب الكافر إنما هو عظة وعبرة له لعله يتقي، وعبرة وعظة لغيره لعله يتعظ ويرجع لرشده وصوابه. أو انتقام منه جزاء جرمه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنۡ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكۡبَرُ مِنۡ أُخۡتِهَاۖ وَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤٨ ﴾ [سورة الزخرف ٤٨]. ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٥٥ ﴾ [سورة الزخرف ٥٥]

---

(١٣) سنن أبي داود كتاب الفتن باب ما يرجى في القتل (٤٢٧٨). مسند أحمد (٤/٤١٨ح١٨٨٤٧، ١٨٩١٧). شعب الإيمان للبيهقي باب في الصبر على المصائب (٧/١٤٨ح٩٧٩٩). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٢٧٨).

(١٤) صحيح البخاري كتاب البيوع باب ما ذكر في الأسواق (٢١١٨)واللفظ له. صحيح مسلم كتاب الفتن باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت (٢٨٨٤).

(١٥) تقدم تخريجه .

وعلى هذا فإذا ثبت أن الزلازل عقوبة ثبت أنها **متعلقة بالذنوب وبغضب الله تعالى**، ويؤكد هذا ويبينه أن القرآن جزم بالعلاقة التامة بين العقوبات وبين الذنوب، فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الشورى ٣٠]. ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الروم ٤١].

فهذه النصوص واضحة الدلالة على: أن المصائب، وهي العقوبات التي تحل بالإنسان، سواء كانت فردية أو جماعية، سببها ما اكتسبت يد الإنسان؛ وكسب الإنسان إما طاعة وإما معصية، ولا ريب أن المصائب ليست بسبب الطاعة، فلم يبق إلا أنها بسبب المعصية ولا بد.

الفصل الرابع

الواجب على المسلمين عند حدوث الكوارث

إن المسلم عندما تمر عليه مثل هذه الأحداث العظيمة وغيرها المتعلقة بالكون من حوله ينبغي أن تكون له وقفة تأمل واعتبار وهذه الوقفة تنطلق من العقيدة التي رسخت في قلبه وانعكست على تصوراته للكون من حوله، وهذا هو المهم، أما أهل المناهج المادية الأرضية البحتة فإنهم ينطلقون من تصوراتهم المادية لمثل هذه الأحداث، والمسلم له منطلقاته التي يحكم بها حياته ، ونظرته إلى ما حوله من الأحداث ، فقلب المسلم معلق دائماً بالله، ما يرى من نعمة إلاّ ويعلم أنها من عند الله، وما يرى من مصيبة إلاّ ويعلم أنها بما كسبت يداه ، وأن ربه يعفو عن كثير.

فإذا تبين لنا مما سبق علاقة الكوارث ومنها الفيضانات بالذنوب والبعد عن الله فيتوجب علينا عدة أمور :

١- **المسارعة بالتوبة إلى الله تعالى والاستغفار والذكر** : قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة الأنفال ٣٣] . و كما قال صلى الله عليه وسلم عند الكسوف : (فإذا رأيتم شيئا من ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره)[١٦].

٢- **أخذ العظة والعبرة من الكارثة** : فما وقعت إلا لتنبيه الناس وتحذيرهم ، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء٥٩].

٣- **الاستقامة على دين الله** : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف ٩٦].

٤- **مبادرة ولاة الأمور بالأخذ على أيدي السفهاء** : وإلزامهم بالحق ، وتحكيم شرع الله فيهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ

---

(١٦) صحيح البخاري كتاب الكسوف باب الذكر في الخسوف (١٠٥٩)، صحيح مسلم كتاب الكسوف باب ذكر النداء بصلاة الكسوف (الصلاة جامعة)(٩١٢).

بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة التوبة ٧١] .

وقال عز وجل ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة الحج ٤١-٤٢].

٥- **الحذر من كل ما نهى الله عنه من الشرك والمعاصي** : حتى تحصل العافية والنجاة في الدنيا والآخرة من جميع الشرور ، وحتى يدفع الله عنهم كل بلاء ، ويمنحهم كل خير كما قال سبحانه : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الأعراف ٧٩-٩٩]

٦- **التحذير من المجاهرة بالمعاصي** : فالمجاهرة بالمنكرات جرم عظيم وسبب كبير من أسباب العذاب. فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ) فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: (إِذَا ظَهَرَتْ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ)(١٧). وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يكون في آخر الزمان خسف ومسخ وقذف، قالت: قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا ظهر الخبث)(١٨).

٧- **واجب العلماء والدعاة** : على العلماء واجب تذكير الناس و إلقاء الكلمات في المساجد والإذاعات والقنوات الفضائية والكتابة في وسائل الإعلام المقروءة والحرص على أن ينتفع الناس بهذه الكارثة نفعا أخرويا، وعدم التلبيس على الناس، برد الأسباب إلى أسباب طبيعية محضة، وعدم الوقوف بين الناس وبين أن يفهموا هذه العبرة، فإن هذا إضلال لهم، وقد توعد الله تعالى الذين يضلون الناس بعقوبة لم يتوعد بمثلها غيرهم، فقال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ

(١٧) سنن الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في علامات حلول المسخ والخسف (٢٢١٢).سنن ابن ماجه كتاب الفتن باب الخسوف (٤٠٦٠). سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٢٩٣ ح١٧٨٧).

(١٨)سنن الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في الخسف (٢١٨٥). سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٨٧).

﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الحج ٨-١٠].

٨ - **واجب المسلمين جميعاً** : فعلى المسلمين جميعا أن يتقوا الله، ويتواصوا بالحق والصبر، ويأمروا بالمعروف ويدافعوا المنكرات، فإن هذا هو الضمان الوحيد لسلامتهم ونجاتهم، كما قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [سورة هود ١١٧].

٩- **الالتجاء إلى الله بالدعاء والتضرع لكشف الغمة** : وسؤاله العفو والعافية قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام ٤٢-٤٣]

١٠- يجب **على المسلم أن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه**: وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الواجب علينا عند حلول المصائب الصبر والاحتساب ، والرضا بقدر الله وقضائه ، واحتساب مصيبته عند الله فهو أعظم لأجره وأنعم له في الدارين .

١١- **ويجب على المسلمين رحمة الفقراء والمساكين والصدقة** : عليهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) [١٩] وقوله صلى الله عليه وسلم : (من لا يرحم لا يرحم)[٢٠]. و من تلك الرحمة جمع التبرعات ، وبناء المخيمات ، وتوفير الطعام والشراب واللباس . وقال صلى الله عليه وسلم : (من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته و من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله

---

(١٩) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في الرحمة (٤٩٤١) ، سنن الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في رحمة الناس (١٩٢٤). مسند أحمد (٢/١٦٠ح٦٤٩٤). السلسلة الصحيحة (٩٢٢).

(٢٠) صحيح البخاري كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٥٩٩٧) ، صحيح مسلم كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال (٢٣١٨).

عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)[٢١] والأحاديث في هذا المعنى كثيرة .

١٢- **دور الإنقاذ والإسعاف** : ويعني مجموعة من التدابير والإجراءات لمواجهة المخاطر الواقعة والمحتملة وما قد ينجم عنها من آثار على الناس والبيئة والعمل على تهيئة كافة الإمكانات وتوفير كافّة المستلزمات الضرورية. والقيام في المشاركة وإنقاذ ونقل وتطهير وعلاج المصابين و الكشف عن هوياتهم وحفظ الأمن في منطقة الكارثة.

١٣- **عدم التشمت بأصحاب الكارثة أو تعييرهم**: بما وقع بل سؤال الله الرحمة لمسلمهم ، والسكوت عن كافرهم واستغلال الحدث فيما ينفع من الكلام والوعظ والتذكير بعظمة الله قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾ [الأنفال ٢٥].

(٢١) صحيح البخاري كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٤٤٢). صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم (٢٥٨٠).

الفصل الخامس

العِبر من الكوارث التي تحصل حولنا

إن الفيضانات والزلازل لا تقرع الأبواب إلا بغتة، فعندما تتحرك الأرض بصوتها المخيف ودويها الرهيب، وعندما تتساقط الجدران وسقف الأبنية الشاهقة، وعندما يصبح أعلى الأرض أسفلها، وأسفلها أعلاها، في تلك اللحظة يشعر الإنسان بجلال الله : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ [سورة الزمر٦٧].﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ ﴾ [سورة فاطر ٤١].

في الكوارث والفيضانات والزلازل والمصائب يعرف الناس عز الربوبية وقهرها، وذل العبودية وكسرها، وأن الخلق كلهم ملكه وعبيده، راجعون إلى حكمه وتدبيره، لا مفر لهم منه ولا محيد لهم عنه، والمؤمنون على يقين أن أفعال الله عز وجل تتضمن الحكمة، وإن غابت عن عقولنا المحدودة هذه الحكمة في بعض الأحيان.

المؤمن يعتقد أن الله خالق هذا الكون، كل ما يتحرك في السماء وما تمور به الأرض، كل نسمة بشر وحركة شجر بإذن الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢ ﴾ [سورة الفرقان٢]. لا يفعل الله شيئاً عبثاً لا يفعل شيئاً إلا لحكمة ارتضاها، ولا يجري في الكون أمر إلا بتدبيره وتقديره ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾ [سورة الأنعام٥٩]. وهذا نعلم أن الذي يسير الطبيعة ويسير الكون هو الله تبارك وتعالى.

وللمسلم من قبل ومن بعد الرضا الموجب لرضوان الله تعالى فإن المصائب تنـــزل بالبر والفاجر فمن سخط على ربه فله السخط، ومن رضي على ربه فله الرضا.

والمؤمنون يأخذون من هذه الأحداث العظة والاعتبار، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ ٢٦ ﴾ [سورة النازعات٢٦]. وينهلون منها الدروس التي تفتح الآذان، وتوقظ القلوب وتحرك المشاعر، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩ ﴾ [سورة الإسراء٥٩].

فمن الفوائد التي نستفيدها من مثل هذه الأحداث :

١ -نستفيد من ذلك تقوى الله سبحانه تعالى و التفكر في أحوالنا وما يجري من حو لنا من العبر، ولنتذكر أننا في نعمة من الله تامة ، أمن في أوطاننا وصحة في أبداننا ، ووفرة في أموالنا، وعلى يقين أن ما ندين به هو الحق ، فماذا أدَّينا من شكر الله الواجب علينا ؟ فإن الله وعد من شكره

بالمزيد ، وتوعد من كفر بنعمته بالعذاب الشديد قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة إبراهيم ٧].، ولنا في قوم سبأ عظة وعبرة ، أمروا بالشكر فأعرضوا فأرسل الله عليهم السيل.

٢ -إن الله سبحانه يري عباده من آياته ليعتبروا ويتوبوا، فالسعيد من تنبه وتاب، والشقي من غفل واستمر على المعاصي و لم ينتفع بالآيات.

٣ -إن الزلازل والفيضانات والبراكين وغيرها من الكوارث الطبيعية آية من آيات الله يخوف الله بها عباده ، ينتظر من القلوب أن تحيا عند وقوعها لا أن تموت ، ومن النفوس أن تستنير لا أن تتطاول في العمى وتصر على الغي وإتباع الهوى .

٤ -لنحذر أن نكون كقوم فرعون ، أرسل الله عليهم الآيات والعقوبات ليتقوا فما انتفعوا فانتقم منهم قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الزخرف ٥٥-٥٦]. وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [سورة الأنعام ٤٤].

٥ -لنحذر أن نكون من الذين لا ينتفعون بالآيات والنذر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [سورة المؤمنون ٧٦]. ستكون المصائب نعمة وتنقلب المحنة منحة حين يستفاد منها في توجيه الناس إلى الله واستدراك أيامهم بالتوبة قبل أن يقطع دونها.

٦ -إن هذه الكوارث إنذار شامل لنعلم أن الحياة مؤقتة، وأن الأجل قريب مهما طال الأمل، وأن العبد عرضة في كلِّ لحظة وآن للرحيل عن دار الدنيا .. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة لقمان٣٤].

٧ -إن هذه الزلازل تذكرنا بزلزال الآخرة ، ولكن شتان بين زلزال الدنيا وزلزال الآخرة.

زلزال الدنيا: أرض ترتجف، ومبان تسقط، يموت من يموت، ويحيا من بقي له من عمره بقية.

أما زلزال الآخرة : ففيه تذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، ويكون الناس

كالسكارى، من هول الموقف ومن الذعر، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ ﴾ [سورة الحج١-٢].

ذهل الناس في زلزال الدنيا من هول المنظر، وشدة الفاجعة ـــ في قطعة محدودة ـــ ثم ينتهي الأمر.

أما زلزال الآخرة : فالأرض كلها تبدل والسموات ، والجبال الشامخة تنسف نسفاً، والبحار تفجر، وتنشق السماء وتكشط، وتغيرات عجيبة ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝٤٨ ﴾ [سورة إبراهيم ٤٨]. ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ۝١٠٧ ﴾ [سورة طه١٠٥ـــ١٠٧].

لقد سمعنا في زلزال الدنيا اليسير منْ ذَهِل من هول الفاجعة عن زوجه وأولاده، بل خرج من بيته وقد نسي ما يستر به جسده، فقد شغل بما هو أعظم.

وفي يوم القيامة : فقد صحَّ في ما روته عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض قال ﷺ يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض) [٢٢] .

٨- ويجب على المسلم أن يستفيد من هذه الكوارث بأن يعلم أن الكون بإنسه وجنّه وسمائه وأرضه وكواكبه ونجومه ومخلوقاته ما علمنا منها وما لم نعلم إنما هي مسخرة بأمر الله يتصرف فيها كيف يشاء سبحانه، ولا معترض عليه. وعلى هذا فإن المسلم بما يحمل من عقيدة التوحيد، يعلم أن الضر والنفع بيد الله، وأن ما يجري من زلازل وبراكين وأمطار وأعاصير ورياح وكسوف وخسوف إنما هي بقدر من الله لحكمة يريدها الله، علمها البشر أو غابت عنهم. فعلى المسلم دائماً أن يتأثر قلبه بالآيات الكونية التي يراها ماثلة أمام عينيه، وهذه الآيات تذكره بالله وتحيي قلبه وتجدد الإيمان فيه وتجعله متصلاً بالله ذاكراً له، شاكراً لنعمه، مستجيراً بالله من نقمته وسخطه.

(٢٢) صحيح البخاري كتاب الرقاق باب كيف الحشر ؟ (٦٥٢٧).صحيح مسلم كتاب الجنة باب فناء الدنيا وبيان الحشر (٢٨٥٩).

اللهم إنا نسألك أن لا تعذبنا بذنوبنا ، وأن لا تعذبنا بما فعل السفهاء منا ، وأن تغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا وأن تثبت أقدامنا على الحق ، وأن تنصرنا على القوم الكافرين .

اللهم اغفر لنا ما قدما وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا ، وما أنت أعلم به منا ، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين ، ربنا إننا ظلما أنفسنا وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، ربنا أفرغ علينا صبرنا وتوفنا مسلمين . ربنا مسنا الضر وأنت ارحم الراحمين . ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون.

اللهم إنا نشكو إليك ضعفنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربنا ، إلى من تكلنا ؟ إلى بعيد يتجهمنا ؟ أم إلى عدوٍ ملكته أمرنا ؟ إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي ؟ ولكن رحمتك هي أوسع لنا . نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يترل بنا غضبك ، أو يحل علينا سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك .

لا إله إلا الله العليم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات والأرض رب العرش الكريم.

اللهم أنت ربنا لا إله إلا أنت ، خلقتنا ونحن عبيدك ونحن على عهدك ووعدك ما استطعنا ، نعوذ بك من شر ما صنعنا ، نعترف لك بنعمتك علينا ونعترف بذنوبنا فاغفر لنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

الخـــــاتمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد:

بعد هذه الجولة من الحديث عن الكوارث والطوفان ، وهذا الجمع لبعض الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الأسباب المؤدية إلى تلك الكوارث ، وإجابة عن بعض التساؤلات التي تدور في أذهان كثير من الناس عندما يسمعون بكارثة تحل بالأرض وبالناس ، بعد هذا كله يمكن أن نستنتج ونلخص ما ذكرناه في النقاط التالية :

١ -أن الإهلاك بالماء والزلازل والبراكين والأعاصير وغيرها من الكوارث الطبيعية عقوبة من الله لبعض خلقه ، **جزاء لقوم** على كفرهم وعنادهم وتجبرهم على الله وإعراضهم عن دينه وشرعه **وتخويف وإنذار** لسائر عباده المؤمنين والغافلين لعلهم يعتبرون ويتذكرون فيرجعون إلى ربهم ودينهم ، **وابتلاء وتمحيص** لبعض عباده لرفع درجاتهم وتمحيصاً لذنوبهم وليبلغهم منازل لم يكونوا ليبلغوها لو لم يمتحنوا ويبتلوا ، **واختبار وتمحيص** لإخوانهم المؤمنين لينظر الله ما هم فاعلون وهل يرجعون إليه أم يتكلون على أسباب مادية ، وهل يفرجون كربة إخوانهم.

٢ -هناك علاقة قوية بين الأسباب الطبيعية للكوارث وبين عقاب الله تعالى مع العلم الذي لا شك فيه أن الله تعالى هو خالق تلك الأسباب .

٣ -الواجب على المسلمين عند حدوث الكوارث المسارعة بالتوبة إلى الله تعالى والاستغفار ، والاتعاظ بتلك الكارثة ، والاستقامة على دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحذر من كل ما يؤدي إلى عذاب الله ، كما يجب على المسلمين المسارعة في الوقوف مع المتضررين ومواساتهم بكل ما يستطيعون .

٤ -هناك أمر مهم يجب التنبيه عليه وإفراده وهو عدم التهكم والاستهزاء بما يحصل للمسلمين أو للكفار ، ولكن الواجب هو الترحم على مسلمهم ، والسكوت عن كافرهم ، وهذا لا يمنع الفرح لما يحصل للكفار من الضرر لأن ذلك يشفي الله به صدور قوم مؤمنين.

٥ -ومن الفوائد القيمة التي تستفاد من هذا العرض للآيات هو أن بلاغة القرآن وكماله في معانيه بلغت الغاية ، حيث يبلغها ربنا بالألفاظ القليلة على المعاني الواسعة الشاملة لصلاح الدنيا والدين ، والمستوعبة لحاجة الناس أمس واليوم وغداً ، وحتى قيام الساعة على مختلف أجناسهم وحضاراتهم ، ولذا علينا أن نمعن النظر والتأمل في آيات الله وما يشرحها من سنة رسول الله وأقوال سلف هذه الأمة كلما طرقتنا الغرائب والمسائل .

وبعد فإن هذا العرض ما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك في صحيحه وصوابه ، وأن يعفو عن ما كان فيه من نسيان وخطأ وأن ينفع به المسلمين ، وأن يكون ما كتبناه حجة لنا لا علينا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحث/د.محمد بن عبدالعزيز العواجي

تم تبييضه في ١٤٢٧/٣/٣هـ

طيبة الطيبة

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس تحقيق : محمد حامد الفقي- مطبعة السنة المحمدية – القاهرة – ط الثانية ١٣٦٩هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي- تحقيق : علي محمد البجاوي - دار الجيل –بيروت- ط.الأولى ١٤١٢هـ.
- الاكتشافات العلمية الحديثة ودلالتها في القرآن الكريم- د.سليمان عمر قوش ط.دار الثقافة ، الدوحة - الأولى ١٤٠٧هـ .
- البداية والنهاية- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء- مكتبة المعارف – بيروت .
- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي رحمه الله ط.دار الكتاب العربي لبنان .
- الحلية أبي نعيم حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني- دار الكتاب العربي – بيروت- ط الأولى ١٤٠٥هـ.
- الزهد أحمد
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية – جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ، توزيع.الرئاسة العامة لشؤون للإفتاء ١٤٠٤هـ .
- المصنف في الأحاديث والآثار- أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي- تحقيق : كمال يوسف الحوت - مكتبة الرشد – الرياض-ط . الأولى ١٤٠٩هـ.
- المعجم الكبير- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني- تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي- مكتبة العلوم والحكم – الموصل- ط الثانية ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٣م.
- الموسوعة الحديثية – مسند الإمام أحمد – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط.الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م- بإشراف المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط.
- الموسوعة العربية الميسرة- إشراف محمد شفيق غربال – دار نهضة لبنان للطبع والنشر – بيروت لبنان – ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- النبوات- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس- المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٦هـ.
- تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي – تحقيق سامي بن محمد السلامة – دار طيبة للنشر والتوزيع – ط.الأولى١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- تيسير الكريم الرحمن للإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله ط.مؤسسة الرسالة عناية د.عبدالرحمن اللويحق ١٤٢٠هـ .

- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله ط.وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض . الأولى ١٤٢٢هـ.
- جامع الترمذي – محمد بن عيسى الترمذي – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض ١٤١٩هـ-١٩٩٨م- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية .
- دراسات في التفسير الموضوعي د.زاهر عواض الألمعي ط.مكتبة الرشد بالرياض. الثانية ١٤٢٢هـ
- سلسلة الأحاديث الصحيحة – محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – ط.الرابعة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- سنريهم آياتنا – للأستاذ.عدنان السبيعي – ط. دار القلم بدمشق – الثانية ١٤٢٢هـ
- سنن ابن ماجه – محمد بن يزيد بن ماجه القزويني – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض ١٤١٩هـ-١٩٩٨م- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية .
- سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث السجستاني – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – ١٤١٩هـ-١٩٩٨م- اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية .
- شعب الإيمان للبيهقي – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١- ١٤١٠هـ
- صحيح البخاري – محمد بن إسماعيل البخاري – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض ١٤١٩هـ-١٩٩٨م- اعتناء أبي صهيب الكرمي .
- صحيح سنن ابن ماجه – محمد ناصر الدين الألباني – تعليق وفهرسة زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- صحيح سنن أبي داود – محمد ناصر الدين الألباني – تعليق وفهرسة زهير الشاويش – المكتب الإسلامي – بيروت – ط الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- صحيح مسلم – مسلم بن الحجاج النيسابوري – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض ١٤١٩هـ-١٩٩٨م- اعتناء أبي صهيب الكرمي .
- فتح الرحيم الملك العلام للإمام عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله ط.دار ابن الجوزي عناية د.عبدالرزاق البدر . الأولى ١٤٢١هـ.
- مباحث في التفسير الموضوعي د.مصطفى مسلم ط.دار القلم بدمشق . الأولى ١٤١٠هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي- دار الفكر- بيروت١٤١٢هـ.
- مع القرآن في الكون – د.محمد جمال الدين الفندي – ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م
- منهاج السنة النبوية- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – تحقيق : د. محمد رشاد سالم- مؤسسة قرطبة- ط.الأولى ١٤٠٦هـ.

فهرس الموضوعات

المقـــــــــــدمة..... ٢

تمهيد..... ٥

الفصل الأول: أسباب الكوارث..... ٧

الفصل الثاني: علاقة الأسباب الطبيعية بعقاب الله..... ١٢

الفصل الثالث : شبهات وجوابها ١٤

الشبهة الأولى: أن الزلازل تصيب دولا وأمما متقدمة غنية..... ١٤

الشبة الثانية: أن الزلزال ظاهر كونية طبيعية محضة ثابتة ١٥

الشبهة الثالثة: إذا كانت الزلازل عقوبات، فلم يصاب بها المسلمون..... ١٧

الفصل الرابع: الواجب على المسلمين عند حدوث الكوارث..... ٢٠

الفصل الخامس: العبر من الكوارث التي تحصل حولنا..... ٢٤

الخـــــــاتمـــــة..... ٢٨

قائمة المصادر والمراجع..... ٣٠

فهرس الموضوعات..... ٣٢